

الانزياحات الدلالية للهوية الثقافية في الفضاء العمومي الافتراضي

تاريخ النشر: 2018/03/31

تاريخ القبول: 2018/01/02

تاريخ الإرسال: 2017/05/06

ملخص

تهدف هذه الورقة البحثية إلى إبراز أبعاد العولمة الاعلامية و الاتصالية على الهوية الثقافية للشباب الجزائري بمختلف شرائحه العمرية خاصة ان هذه الاخيرة تمثل الكيان الشخصي و الروحي للفرد بالموازاة مع العولمة الثقافية التي تتميز باحتكار المعلومات في ظل الشبكة العنكبوتية للمعلومات التي أصبحت وسيلة هامة لها لتلقي و تمرير الدوال الثقافية بما تحمله من معلومات و افلام و صور وأفكار ثقافية تطيح بمعالم الهوية الثقافية الخاصة بالشعوب و الافراد خاصة تلك الثقافة المادية التي تسيطر على شبكة الانترنت و الاطاحة بالأخلاق الفاضلة اضافة الى الدعاية السياسية التي من شأنها قلب الوضع الثقافي و السياسي للبلدان ، من هنا أصبحت لهذه الهوية الثقافية دلالات و معاني يمكن استنطاقها او بالأحرى قراءتها سيميائيا باعتبار ان العولمة ادت الى تطبيق ثقافة جديدة بأنساق ثقافية مختلفة مفادها ان للفرد الحرية في اختيار اي الثقافات التي يراها مناسبة بهدف ابراز طاقاته واستثمارها .

الكلمات الدالة: الهوية ، الرموز ، الأنساق الثقافية ، المحتوى الثقافي ، العولمة ، الاتصال

Résumé

Cette présentation vise à mettre en évidence les dimensions de la mondialisation et de la communication des médias sur l'identité culturelle des jeunes algérien de divers segments d'âge , ce dernier représentant l'entité habitant personnelle et spirituelle en parallèle avec la mondialisation culturelle, qui se caractérise par un monopole de l'information à la lumière de la World Wide Web pour obtenir des informations qui est devenu une importante sa façon de recevoir et de passer des fonctions culturel, y compris à l'égard de l'information et des films et des photos et des idées de la culture renverser , en particulier ceux de la culture matérielle, qui contrôle l'Internet et renverser la moralité des individus ainsi que la propagande politique que influence le cœur de la situation culturelle et politique du pays, à partir d'ici est devenu ces connotations et les significations d'identité culturelles peuvent considérer que la mondialisation a conduit à l'application d'un nouvel effet culturelle donc même ces jeunes algériens peuvent choisir les cultures qu'il juge appropriées afin de faire ressortir ses énergies et ses investissements .

Mots clés mondialisation , communication ,contenu culturel, identité

مفهوم الهوية الثقافية من منظور سيميائي اتصالي

إن الهوية الثقافية هي تعبير عن الحاجة إلى الاعتراف والقبول والتقدير للإنسان، ففي الهوية الثقافية تشغل جدلية الذات والآخر وتعيد كل جماعة بشرية تأويل ثقافتها من خلال اتصالاتها الثقافية ، وعلى كل كائن جماعي حي يتحول ويتغير من الداخل على ضوء تغير المصادر القيمية والسلوكيات، ومن الخارج بفعل أشكال التأثير الناتج عن علاقة الفرد بالمحيط كما أنها كيان يسير ويتطور وليس معطى جاهز ونهائي وهي تتطور إما في اتجاه الانكماش وإما في اتجاه الانتشار وهي تغني بتجارب أهلها وانتصاراتهم وتطلعاتهم وأيضا باحتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى.

من هنا يمكن القول، ان الهوية الثقافية والحضارية لأمة ما، هي القدر الثابت والجوهري والمشارك التي تميز حضارة أمة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل الشخصية الوطنية أو القومية طابعا تميز به عن الشخصيات الوطنية القومية الأخرى.

ومن الناحية الاتصالية يمكن الحديث عن الخصوصية الثقافية التي ترافق الشعوب والأمم والجماعات البشرية والتي تعني في جوهرها استلاب الأمة أو الدولة من خصوصيتها الثقافية وهذا ما نراه من تأثيرات العولمة الاعلامية والاتصالية ومحاولة الغرب التأثير على ثقافات إلى الآخرين خاصة وهي أمام مجتمعات تستهلك في المجال الثقافي أكثر مما تنتج.

وتعتبر تجليات العولمة الثقافية من التحديات الكبرى التي تهدد خصوصيتها الثقافية فالإحساس الذي لا زال متنامي لدى المجتمعات بالخطر على الوجود الذاتي لأفرادها بوصفهم ينتمون إلى الأمة كونية لحضارات متعددة هذا الوعي أخذ يولي مسألة الثقافة اهتماما يتعاظم تدريجيا فالثقافة تعتبر المكون الأساسي لوجدان أي مجتمع وتعبير عن العمق التاريخي والمتراكم في المجتمع فالثقافة تعبر عن الهوية والانتماء الوطني وبالتالي فالضرورة ملحة على التواصل الثقافي 1.

مما سبق نخلص الى القول ان الهوية الثقافية تلك المبادئ الاصلية السامية والنابعة من الأفراد او الشعوب وتلك ركائز الانسان التي تمثل كيانه الشخصي الروحي والمادي علما انها تمثل كافة جوانب

1-محمد حسن برغني: الثقافة العربية والعولمة دراسة سوسيولوجية لآراء المثقفين العرب، بيروت، المؤسسة العربية للنشر، 2007 ص42

الحياة لأعضاء الجماعة الموحدة التي تنتهي اليها الأفراد بالحس والشعور الانتمائي لها .

الهوية الثقافية الجزائرية.. بين الماضي والحاضر

بعد استعراضنا لأهم المفاهيم المفتاحية أو المركزية للموضوع، فإنه لابد من ربط هذه المفاهيم بمفهوم قد لا يقل شأنًا عن المفاهيم الأخرى وهو محددات الهوية الجزائرية، فالمجتمع الجزائري جزء لا يتجزأ من العالم العربي

الإسلامي، وبالتالي فإن الهوية الجزائرية بالمفهوم الحضاري تعني الانتماء إلى الأمة العربية الإسلامية بكل مكوناتها، هذه الهوية الواضحة اجتماعيا والتي تحظى بالقبول النسبي من طرف جميع أفراد المجتمع وكذا مختلف الفاعلين السياسيين داخل المجتمع الجزائري بالإضافة إلى عوامل أخرى مادية أساسا مرتبطة بمستوى التقدم الاقتصادي والحضاري الذي يبلغه المجتمع في مرحلة معينة من مراحل التاريخ غير أن هناك عدة عوامل تاريخية محلية وكونية ساهمت في بلورة ثوابت معينة للهوية الجزائرية تتمثل في ثلاث محددات:

1- الدين الإسلامي.

2- اللغة العربية

3- الأصل الأمازيغي

وإذا أقررنا من حيث المبدأ أن لكل مجتمع خصوصيته الثقافية التي تشكل هويته الذاتية ويسعى جاهدا للمحافظة عليها وصيانتها من الاندثار تحت وطأة وهيمنة الخصوصيات الثقافية للمجتمعات الأخرى، فإن للمجتمع الجزائري خصوصية ثقافية قد تميزه عن باقي المجتمعات العربية الإسلامية، فالخصوصية الثقافية تعني أنها: " عناصر خاصة بمجموعة اجتماعية معينة 1

فالمجتمع الجزائري يعيش داخل فسيفساء من التعدد الثقافي فهو مجتمع عربي إسلامي، أمازيغي، متوسطي، إفريقي عالمي يجمع بين المعربين والمفرنسين، يجمع بين الشاوية والقبائلية والمزابية والتارقية غير أنه رغم هذا التعدد الثقافي فإنها تحيي داخل مجتمع واحد وموحد متضامن ومتماسك تحت لواء العروبة والإسلام 2

1- محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 2003، ص 75
2- عباس الجراري: مكونات الهوية الثقافية المغربية، في: الهوية الثقافية للمغرب كتاب العلم، السلسلة الجديدة، 1988، ص 12

ومن خلال ما سبق يمكننا القول أن العولمة الثقافية قياسا بالعولمة الاقتصادية والسياسية... إلخ تعني ترسيخ هيمنة هوية ثقافية معينة ليس هذه الهوية إلا الهوية الثقافية الأمريكية بكل أبعادها المادية ولأسيما المعنوية منها. والمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات العربية والإسلامية التي تعاني بدورها خطر العولمة الثقافية، فالمسألة الثقافية في المجتمع الجزائري تبدو شائكة لبعض الدارسين نظرا لتعدد الثقافي الموجودة فيه فالمتتبع لواقع الهوية الثقافية الجزائرية يلاحظ كما ذكرنا سابقا أنها متعددة الأبعاد ومتشعبة الأطراف، نلاحظ غلبة التوجه الفرنسي فيها على سبيل المثال لا سبيل الحصر ولهذا يحتدم الصراع بين المعربين والمفرنسين وبالتالي نحن في مواجهة أزمة لغوية وثقافية في الجزائر فعلى الرغم من تنوعه الثقافي إلا أنه قائم في إطار وحدة ثقافية وطنية واحدة " فالقبائلية والشاوية والمزابية والتارقية ... ليست ثقافات مغلقة ومعيقة للتحديث والوحدة والتحول، بل هي واحدة من المكونات الأساسية للهوية الوطنية ولا يحق لأي جهة احتكارها هذه الأخيرة التي تبدو في صور عدة منها الهوية المستمرة وهي الخطوط الكبرى التي تتناقل جيلا بعد جيلا ويكون المجتمع بواسطتها هو ذاته لا الآخر، أما الهوية المتحولة فتتشكل بواسطة التأثيرات التي تتلقاها ولكن تتحول عموما داخل الاستمرار ذاته

ولعل هنا يطرح التساؤل التالي ما هو الثابت والمتغير في الهوية ويمكن القول بأن الهوية تتضمن مكونات ثابتة وأخرى قابلة للتغيير، ويعتبر الدين واللغة من الثوابت الراسخة داخل هويتنا الثقافية دون إلغاء اللهجات الأخرى بينما تكون المكونات الأخرى من عادات وقيم وطرق تفكير قابلة للتغيير في الشكل الايجابي الذي تحدده حركية المجتمع وتفاعله الخارجي. ولعل هذا ما سعت إليه الجزائر حيث جعلت من الثقافة قضية تنموية معتبرة اللغة بمثابة أساس الهوية الثقافية فبدأت بتعريب المدرسة الأساسية والجامعة وتعريب الإدارة وقطاع العدالة والاقتصاد... إلخ، رغم بعض الصراعات التي شهدتها بعض القطاعات بين المؤيدين والرافضين للفكرة، فرغم التحولات السريعة التي عرفها المجتمع الجزائري إلا أن الجهود متأزرة على المستوى الداخلي من أجل تحقيق تنمية لا تذهب بالخصوصية التاريخية والحضارية والثقافية للمجتمع الجزائري بل تدعمها من خلال تفعيل اللغة العربية لغة القرآن وبالتالي الحفاظ على ديننا بكل قيمه وأصالتها وتراثنا الثقافي وبكل ما تحمله هذه الهوية الثقافية الجزائرية من تنوع متعدد¹

1- محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، مرجع سبق ذكره، ص 45

دلالات العولمة الثقافية وأبعادها الرمزية في البيئة التكنولوجية البصرية

المقصود بالعولمة الثقافية بالطبع هو التقارب الذي يحدث بين ثقافات شعوب العالم المختلفة لدرجة ذوبان الفوارق الحضارية بينها، وصهرها جميعاً في بوتقة ثقافة واحدة ذات خصائص مشتركة واحدة. ولاشك أن آليات تحقيق هذا التقارب قد زادت في السنوات العشرين الماضية لدرجة أصبح الإنسان معها في أي مكان في العالم المترامي الأطراف خاضعاً لتلقي كل أو على الأقل معظم ثقافات الشعوب المختلفة عبر وسائل الإعلام المختلفة، وعبر كل تلك المخترعات التي سهلت له الاطلاع على فكر الشعوب المختلفة وعاداتها وتقاليدها وديانها وعلى كل ما تنتجه قرائح هذه الشعوب في اللحظة نفسها التي تنتجها فيها أو بعد ذلك بقليل.

ما يتبادر إلى الأذهان عند قول عولمة ثقافية، هو وجود خصائص ثقافية عالمية تصلح لكل المجتمعات على اختلافها، ويمكنها أن تتبناها وإنما الأصح في ذلك هو أن العولمة تهدف لهيمنة الثقافة الغربية أوروبية على ثقافات العالم، من خلال هيمنتها على وسائل الإعلام بحيث تقولها في قالب واحد، لتصبح ثقافة واحدة¹ إن تعريف العولمة ثقافياً، يعني أن ينتقل اهتمام الفرد من ثقافته المحلية إلى الثقافة العالمية دون أن يهمل هويته الوطنية

وهي أيضاً انتقال تركيز واهتمام الإنسان من المحلية إلى العالمية، بمعنى أن يزداد الوعي بعالمية العالم ووحدة البشرية و بروز مفهومات جديدة للهوية والمواطنة العالمية التي قد تحل محل المفهومات المحلية لها. فالثقافة هي بطاقة هوية كل بلد وكل مجتمع، تحمل نسقا مركبا من التراث والتاريخ واللغة والمعتقدات والتقاليد والقيم، والتي بها تميز المجتمعات. ونظام العولمة هذا يسعى إلى وضع نظام عالمي موحد ونموذجي، عكس ما تتميز به الهوية الثقافية من خصائص التفرد والتعدد².

1- محمد عابد الجابري، العولمة ومسألة الهوية بين البحث العلمي والخطاب الايديولوجي، مجلة فكر ونقد، عدد 22 ص 76

2-محمد حسين أبو العلا ،ديكتاتورية العولمة قراءة تحليلية في فكر المثقف، مكتبة مديولي ،ط01، القاهرة،2004،ص22

إن المسألة هنا لا تأخذ مسارها بشكل مادي بمجرد الخضوع لاتفاقات معينة أو لقوانين معينة، بل هي مرهونة بالافتقار الذاتي للفرد ومرهونة بالتالي بإرادة شعب ما التخلي عن ثقافته القومية والتنازل عنها لصالح تلك الثقافة الجديدة الوافدة. وإذا ما أدركنا أن معظم عناصر تلك الثقافة المعولمة أو التي يراد لها ذلك عناصر غربية وحاملة للقيم الغربية المادية المتطرفة في ماديتها .

عموما، تسعى العولمة إلى الوحدة و النمطية مقابل التنوع والتعدد الذي تقربه الهوية كما تهدف العولمة إلى القضاء على خصوصيات المجتمعات بينما تعترف الهوية بالاختلافات فيما تنتقل الهوية من العام إلى الخاص و من الشامل إلى المحدود، تنتقل العولمة من العام والشامل إلى اللامحدود و اللاتجانس.

هذه العلاقة كما هو واضح يشوبها صراع و تصادم بين المفهومين؛ حيث تطارد العولمة الهوية الثقافية للشعوب مطاردة مستميتة، يبقى أن نعلم إن كانت هذه الأخيرة

في خضم الصراع المحتدم بين مؤيدي العولمة الثقافية و معارضها، اقترحت أطراف من النخبة العالمية ممثلة في منظمة "اليونسكو" وثيقة عمل و تأمل تمثل موقف وسط بين دعاة عولمة بلا حدود و على رأسها الوم.أ و بين ممثلي بلدان الجنوب المعرضة للاكتساح، تحمل هذه الوثيقة أطروحة " التنوع الثقافي ، وفيها دعوة للمجتمعات للث و فبق بين المطلب المزدوج للوحدة والتنوع:الوحدة باعتبارها شرط التماسك الجمعي، والتنوع باعتباره حقيقة حتمية و عامل ثراء للثقافات. كذلك تعميق الحوار ما بين الثقافات وفي إطاره الحوار ما بين الديانات، لخلق وحدة الحضارات، وهذا ما تحمله منظمة" اليونسكو "و منظمة الأمم المتحدة على السواء من شعارات ، لتفادي صراع الحضارات الناجم عن العولمة الثقافية

إن أفضل طريقة لمعالجة تحدي العولمة لحماية الشباب ، من سلبها و تهديدها، أن ينخرط كل المجتمع بهيئاته المختلفة ومؤسساته سواء الحكومية أو مؤسسات التربية: المدرسة والأسرة، في مفاهيمها، بأن يفهمها الفهم الصحيح، حتى لا يبقى معزولا. 2

1-محمد حسين أبو العلا ،ديكتاتورية العولمة قراءة تحليلية في فكر المثقف،مرجع سبق ذكره ،ص88

2010Peter Dahlgren, *l'espace public et l'internet : structure, espace et communication, réseaux, volume 18, -2*

تمثيلات المحتويات الثقافية الرقمية في الانترنت لدى الشباب الجزائري

ظهرت مع القرن الجديد ثورة معرفية و تكنولوجية هائلة ، جعلت الكتابة الرقمية من احد اساليب الحياة المعاصرة و وسيلتها في الاتصال والإنتاج والخطاب والتأثير ، وفي هذه النقطة بالذات، اتسع حقل الاستغلال الفني لمعطيات الثورة المعرفية و التكنولوجية من خلال توظيف جماليات تكنولوجيات المعلومات على الخطاب اللغوي و البصري ، كون ان الانترنت تعتبر وسيلة اتصال و مكتبة افتراضية متنوعة تؤمن سبل الوصول الى مصادر المعلومات .

ويقدم الخطاب الرقمي التفاعلي معايير جمالية جديدة وخصائص لم تكن متاحة من قبل في النص الورقي كخاصية تعدد المبدع والتأليف الجماعي للنص الرقمي وتعدد الروابط التي تؤدي بدورها إلى تعدد النصوص

حسب اختيارات المتلقين ، هذا ما اشار اليه جاكوب نيلسون jakob nielsen عندما اكد في احد مؤلفاته ان المحتوى الرقمي يمنح للمتلقى سلطة تصور عالم او كون سردي داخل العالم الافتراضي الذي يهتم بتحويل الممارسة السرديّة الى سلطة من التطبيقات النصية حيث يصبح القارئ او المسرود له في وضع المستكشف لتلك العوالم النصية. في هذا السياق ، لا بد ان نشير الى بعض النصوص الرقمية المرفوقة بالصور المتحركة التي تلجأ في بنائها الجمالي إلى عناصر سيميائية مختلفة مثل الموسيقى ، الإلقاء الصوتي إلى جانب العلامات اللغوية التي لم تعد حركتها تنمو في شكل خطي تسلسلي ولكنها أصبحت متحركة تنمو بصورة شعبية في اتجاهات مختلفة 1

من هنا توالى انشغالات علمية وابحاث جديدة، اسفرت عن بزوغ مفاهيم جديدة في المحتوى الرقمي تمخضت بدورها عن التناول المكثف لمسألة التفاعلية بين القارئ والنص ولعل أول ما يتبادر إلى الذهن عند الحديث عن الهوية الثقافية في الانترنت هو الخصوصية الذاتية والتفرد بصفات وخصائص معينة تعكس هذه الخصوصية وتميز هذه المجتمعات عن بعضها ففي ظل التوجه إلى العالمية نجد أن هناك توجهها جديدا نحو تحديد الهوية فعند تحول الفرد إلى العالمية يحاول أن يؤكد هويته وشخصيته المميزة فالهوية تظهر في كل مكان وتؤكد على محورها في كل المجتمعات التي أصبحت مقسمة إلى مجموعات متعددة وسط كل هذا فهناك دول تختفي في الوقت الذي نجد فيه دولا تؤكد على هويتها وتزدهر على المستوى العالمي.2

1- محمد عابد الجابري ، "العولمة والهوية الثقافية" أطروحات دار المستقبل العربي، العدد 228-02، بيروت، 1998، ص55

2- فلاح كاظم المحنة ، العولمة والجدل الدائر حولها ، مؤسسة الرواق للنشر والتوزيع ، ط01، الأردن، 2002، ص76

إن التحول الذي أصاب المجتمعات العربية بصفة عامة والمجتمع الجزائري هو الانتقال من وحدة التعدد الذي أصبح الهدف العالمي فقد أصبح الاختلاف المعترف به الوحدة التي يعترف بها من خلال النظر إلى الاختلافات ومن خلال وضع التميزيات في الاعتبار.

وباعتبار الهوية الثقافية القومية هي الهوية المشتركة لجميع أبناء المغرب العربي لا يعني هذا إلغاء وإقصاء الهويات الوطنية ولا يعني أيضا فرض نمط ثقافي معين من الأنماط الثقافية المتعددة الأخرى، فالوظيفة التاريخية لهذه الثقافة هي وظيفة التوحد المعنوي والروحي والعقلي والارتفاع بالوطن وإيجاد أسباب الانفتاح على الثقافة والهوية الخارجية فكل التحولات والتغيرات تتركز في البنى الاجتماعية التي تعيش في أطر إقليمية محددة وبالتالي يكون التساؤل عن كيفية حدوث هذا التغير في الهوية والبنى الاجتماعية.

ولهذا فإن التمسك بالهوية القومية هو وصف المخزون النفسي المتراكم من الموروث وتفاعله مع الواقع فانتقال المجتمع من مرحلة إلى أخرى لا يعني أنه أحدث قطيعة أو انفصال عن الماضي، بل يعني استمرار الحضارة، ولكن على أساس احتياجات هذا العصر وبالتالي فإن قضية الحفاظ على الهوية قضية كفيلا بإظهار وجودنا الثقافي في المعترك الحياتي واكتشاف جذورنا والتمسك بهويتنا.

إذن فتبني العولمة يؤدي إلى تحطيم القيم والهويات التقليدية للثقافات الوطنية والترويج للقيم الاستهلاكية ويمكن تلخيص ما سبق من آثار الثقافة المعولمة على هويتنا الثقافية فيما يلي:

1-التبادل اللامتكافي بين العناصر الثقافية إذ يكون التبادل أحادي الاتجاه مما يخلق مشكل الخصوصية في ظل شمولية الاتصال.

2-الغزو الثقافي والذي يظهر استمرار آليات التي تحقق السيطرة وامتداد فعاليتها في شكل قوة تغلغل في مجتمعاتنا التي تقف موقف الجمود أمام التغيرات التي تحدث داخلها، الأمر الذي ينمي الإحساس بالتهيمش والاستلاب من الثقافة الأصلية وتنامي الإحساس بفقدان هويتنا الوطنية القومية.

3-التبعية الثقافية من خلال اعتماد ثقافتنا على ثقافات الأخرى في إنتاج وتطوير ثقافتها وتمثل هذه التبعية في عدة مظاهر منها إحلال قيم وعادات وأنماط سلوكية محل القيم السائدة في هذه المجتمعات حيث تظهر التبعية في المجتمع التابع كمجتمع مهشم ومتناقض يسوده التفكك وعدم الأصالة.

4-الإمبريالية الثقافية والتي تشير إلى الثقافة المسيطرة من خلال ما تمارسه الثقافة المتقدمة من هيمن على الثقافات المتخلفة والتابعة فتحل هذه الهيمنة كانت إعلامية أم تكنولوجية مواقع أساسية في ثقافتنا من خلال فرض قيمها وأنماطها السلوكية.

الهوية الثقافية... بين الخصوصية وقيم الحداثة والمعاصرة

تقوم الهوية على مجموعة من الركائز منها اللغة والدين والمذهب والفكر والعقيدة والعقلية وحديثا أصبحت الايديولوجيا من ضمنها أيضا، بالإضافة لما يملكه الفرد والمجتمع من الهوية الاقتصادية والعلمية والاجتماعية وما يتضمن من الموروثات التاريخية وتفرضه عليه جغرافية الشكل والنوع المعين من الهوية. في حالات يمكن أن تطغى بعض منها على الأخر وتختلف من بقعة لأخرى ناهيك عن الاختلاف الواسع مع الدول المتقدمة، وكلما كانت الظروف الاقتصادية مسيطرة على الفرد، وهو يهتم بها أكثر من المجالات الأخرى- أي الاهتمام بالهوية الخاصة²- يمكن أن تخفف الحداثة من سمك وثقل هوية الفرد سوى كانت اجتماعية أم ثقافية خاصة به، أي تقرب الأفراد رغم الاختلافات الكثيرة في كافة الجوانب من شكل وجوهر الهوية الخاصة بهم، في المجتمعات المتخلفة تبرز الاختلافات الخاصة بالهوية بين مكونات الشعب، وهناك من العوامل المؤثرة على التشدد في الالتزام بالهويات الخاصة ومنها الفقر والبطالة والتخلف في ظل أنظمة قمعية، وهذا ما يؤدي إلى مجاهمة كل القيم الحديثة..

اختلف المفكرون في تأثير قيم الحداثة على الهوية، وتعددت آراء واتجاهات الباحثين في المجتمعات العربية الإسلامية حول الهوية بين قيم الأصالة والحداثة في ظل التحولات السوسيوثقافية لهذه المجتمعات، هناك من يرى الحداثة أمر مفروض ولا بد لنا أن نبحث عن تأصيل لهذه القيم الحديثة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية وآخرون يدعون إلى اعتزال كل ما جاءت به الحداثة من قيم وآخرون يقولون بالتعامل مع الحداثة وما جاءت به من قيم لكن بحذر.

هذا وتعد الهوية في نظر بعض الباحثين والمفكرين من جهة أخرى عائقا ينبغي إزالته للانضمام إلى مسيرة الحداثة، أما بعضهم الآخر يرى أنها الحصن الدفاعي الذي يحمي الثقافة القومية من وحشية القيم الحديثة التي تعتبر دخيلة عن القيم الأصيلة للمجتمع، وبين هذا وذاك يوجد من دعا لهوية منفتحة ومتجددة، توازن بين الأصيل من القيم والمعاصر منها حسب الضرورة والاحتياج³

1- سليمان ابراهيم العسكري، الثقافة والانسان العربي، اطلالة على المشهد الراهن، مجاة العربي، العدد 509، الكويت، 2001.
Jean-Noël Anderruthy, web 2.0 révolution et nouveaux services d'internet, EMI édition, France, janvier 2007-2

3- عباس الجراري: مكونات الهوية الثقافية المغربية، في: الهوية الثقافية للمغرب كتاب العلم، السلسلة الجديدة، 1988،

ولكن اليوم تأتي العودة القوية لثوابت الهوية الثقافية في الجزائر كما في دول العالم العربي الإسلامي، نتيجة لإخفاق الأيديولوجيات التمدنية الغربية، في بناء هوية منزوعة الصلة بالعمق الثقافي والتاريخي لهذه المجتمعات، وفشل قيم الحداثة وشعاراتها البراقة في إحداث التنمية والرفاهية المأمولة¹ غير أنه يوجد من ينتزع عن الهوية سمتها الاجتماعية الثقافية، فيراها سياسية لها علاقة بالمواطنة، حيث الافتراض بأن الهوية تقوم على أساس ثقافي، مبني على فكرة التجانس الاجتماعي، وهو افتراض غير مبرر، ورأي آخر يرى في الحداثة أنها مسئولة عن الربط بين الهوية الثقافية والهوية السياسية، الأمر الذي أدى إلى صراعات اجتماعية في داخل مجتمعاتنا وهذا ربط لا يكون حقيقياً إلا عندما تعبر الهوية السياسية عن الهوية الثقافية التي ينظر إليها على أنها فعل مرتبط بالماضي والمستقبل، بينما الهوية السياسية فعل يقوم في الغالب على معطيات الحاضر²

ولكن بحثنا عن أصالة قيم هويتنا لا تعني إهمال ثقافة الآخر وعدم الاطلاع عليها والإفادة منها كما لا تعني ثقافة دينية بالمعنى الكهنوتي، وأيضاً ليست نشر العلوم الشرعية التخصصية التي تدرس في المعاهد كما هي عليه، بل تعني العودة إلى الأصالة منهجاً وقيماً ومصدراً في تنمية ثقافة المجتمع أياً كان اتجاهها سياستاً أو أدبياً أو فكرياً أو فناً.

فالمجتمعات العربية والإسلامية عامة و المجتمع الجزائري على الصعيد الثقافي لا تبدأ من العدم بل هي تستند إلى إرث ثقافي غني بالقيم البناءة، هذه المجتمعات تستطيع أن تقدر القيم الأصيلة لديها والموجودة في تراثها ودورها في تكويننا النفسي والاجتماعي وتأخذ منه ما تقتضيه حاجتنا اليوم، وأن نقبل على الثقافة المعاصرة فنقتبس من ثقافات الآخرين ما تحتاج إليه ثقافتنا لتحقيق معاصرتها ومواكبة الثقافات الأخرى، ولا سيما في ميدان العلوم والتقانة والتقنية والعلوم المستحدثة في السنوات الخمسين الأخيرة، فالمواءمة بين الموروث والجديد يحفظ للأمة هويتها ويجدد طاقتها على النماء والتطور³.

1- بدران بن لحسن: العولمة ومنعطف التجديد، مجلة الإحياء، العدد 21، باتنة، جامعة الحاج لخضر، 2007، ص55
2- فريدريك معتوق: معجم العلوم الاجتماعية، مراجعة: محمد دبس، بيروت، أكاديمية، 1998، ص65
3- ابن داود عبد النور: المدخل الفلسفي للحداثة تحليلية نظام تمظهر العقل العربي قراءة في نصوص ميشال فوكو، الجزائر، دار الإختلاف، 2009، ص77

في الأخير يمكن أن نؤكد على ما قاله الجابري فالهوية الثقافية لا تكتمل ولا تبرز خصوصيتها الحضارية، ولا تغدو قادرة على نشدان العالمية، على الأخذ والعطاء، إلا إذا تجسدت مرجعيتها في كيان مشخص تتطابق فيه ثلاثة عناصر: الوطن والأمة والدولة .

الوطن: بوصفه "الأرض أو الجغرافية والتاريخ وقد أصبحا كيانا روحيا واحدا يعمر قلب كل مواطن.

الأمة: بوصفها النسب الروحي الذي تنسجه الثقافة المشتركة قوامها ذاكرة تاريخية وطموحات تعبر عنها الإرادة الجماعية التي يصنعها حب الوطن.

الدولة: بوصفها التجسيد القانوني لوحدة الوطن والأمة، والجهاز الساهر على سلامتهما ووحدتهما وحماية مصالحهما وتمثيلهما إزاء الدول الأخرى، في زمن السلم كما في زمن الحرب.

انماط الحفاظ على الهوية الثقافية الجزائرية في ظل العولمة

في الحديث عن إستراتيجية الحفاظ على الهوية الثقافية في ظل العولمة يمكن أن نقول كيفية التعامل مع العولمة الثقافية وتنبع ضرورات التعامل والمواجهة الاعلامية لظاهرة العولمة بالأساس من الحاجة إلى حماية الهوية الثقافية الجزائرية¹ وصيانة خصوصيتها الذاتية ويتم ذلك من خلال التوجه إلى التطور الحضاري الإنساني ودعم التفاعل الحضاري الثقافي بين الأمم والشعوب ولا بد لهذه الاستراتيجيات أن تكون ممكنة يمكن تطبيقها في ضوء الفرص المتاحة وان تتسم بالنظرة الشاملة² وذلك بتحليل مختلف المتغيرات ومدى تأثيرها بعضها ببعض ويتم الحفاظ على الهوية من خلال مستويين يتمثلان في:

على المستوى الدولي:

لعل أهم نقطة للبدء في المحافظة على الهوية الثقافية أمام الآخر يمكن إطار التعامل مع قوى العولمة الثقافية وبناء النموذج الثقافي الوطني في المجتمعات العربية من خلال إجراء حوار عام يسفر عن إجماع وطني حول المشروع الثقافي الوطني والدعوة إلى الاندماج في الهوية الوطنية العربية مع الحفاظ على خصوصياتها وهي النقط المحورية التي تسعى من خلالها إلى قوى العولمة إلى تحطيم وحدة البلدان العربية. إلى جانب ذلك لا بد من إجراء حوار في إطار مفهوم "التقريب" في الوقت الذي يصعب الحديث عن تعامل فعال مع العولمة الثقافية لأنه لا زالت هناك الكثير من التضاربات الثقافية في الوطن العربي إضافة

1- بدران بن لحسن: العولمة ومنعطف التجديد، مجلة الإحياء، العدد 21، باتنة، جامعة الحاج لخضر، 2007
2-Emmanuelle Border, Pascal Vaillant. Le statut du signe iconique entre iconicité et intertextualité. Paris.2006

إلى هذا لا بد من التوصل إلى إستراتيجية ثقافية مشتركة بين البلدان العربية والغربية ويمكن ذلك من خلال حوار الحضارات العالمية، فالعوامة تدفع في اتجاه فرض القيم الغربية ومواجهة القيم غير الغربية.
على المستوى المحلي:

إذا تحدثنا عن الإستراتيجية على المستوى المحلي فتعتبر الإستراتيجية النواة لفرض وجودنا الثقافي واثبات خصوصيتنا الثقافية والهوية الوطنية القومية داخل المجتمع الجزائري ورفع هذه الهوية أمام الآخر وتكمن محاور ونقاط هذه الإستراتيجية في:

– محاولة المزوجة بين المجتمع الحديث والحياة الشعبية التي خلفها الأجداد ويقصد هنا بالمزوجة هو عدم الانفصام بين النواحي الحياتية والتجارب الموروثة التي لا بد أن تحضر وتحلل وتقدم في ثوب جديد مع الحفاظ على الإبداعية فلكل ثقافة محلية خصوصية، ولكن تجتمع كلها في صفات مشتركة تكون السمة الغالبة للهوية الثقافية¹.

-تحديث ثقافتنا وتطويرها من خلال تبيان وضعية المتحول من الثابت فيها وذلك بإثبات هويتنا في وجه تيارات العولمة الثقافية حتى نتمكن من المحافظة على قوميتنا

-إيجاد رؤية تصور العالم على أنه مجموعة واحدة تتبادل المنافع دون إسقاط الخصوصية التي تميز كل جماعة في موروثها الثقافي.

-رفض العزلة والهيمنة في الوقت نفسه ومحاولة وضع وجودنا الثقافي في المعتكك الحياتي من خلال تطويع الثقافة الجديدة مع ثقافتنا حتى تصبح مزيجا من الأصالة والمعاصرة وهنا يمكن المحافظة على هويتنا ومواكبة الآخر.²

1-حسن لطيف كاظم الزبيدي، العولمة والمستقبل الدور الاقتصادي للدولة في العالم الثالث، دار الكتاب الجامعي، المغرب 2002.

2-عماد علي: الحداثة وتأثيراتها على الهوية الثقافية في منطقتنا، المثقف، العدد: 1370، 10/04/2010.

خاتمة

لا يخفى على أحد أن المعارك الثقافية هي أعمق تجربة يمكن لمجتمع أن يخوضها من أجل تجاوز رواسب الماضي وأطر التقليد وآليات الاستلاب الفكري والهيمنة الإيديولوجية كما إنها إرادة إحلال هيمنة محل هيمنة أخرى، لكن على أرضية التحرر. وهذا تنشده كل هوية ثقافية فاعلة ومتفاعلة مع الخاص والعام فالبعد الثقافي هو معيار أولي لتحديد طبيعة مجتمع ما. وبغياب هوية ثقافية نقدية يكون المجتمع قد كرس ذاتيا الاستلاب واللافاعلية. وإذا كان المنظور الثقافي يدافع عن الثقافة كمنطلق وهدف وزاوية نظر، فإنه يغفل تداخل مجموعة عوامل في تدمير ثقافة ما أو نهوض هوية ثقافية.

وعليه فإن الهوية الثقافية الجزائرية في ظل العولمة لدى الشباب ليست وليدة اليوم، وإنما مرتبطة بعمليات الانفتاح الثقافي حتى قبل ظهور وسائل الإعلام والاتصال، حين كانت الدول والأمم في الماضي تنفتح على ثقافة أمة أخرى فتنهل منها ما يعجبها أو العكس، ويتحقق ذلك بفعل عملية التأثير والتأثر. أما في وقتنا المعاصر فازداد مشكل الهوية أكثر حدة، ليس فقط لأن مبتكروا وسائل الإعلام والاتصال يصدرون ثقافتهم لشعوب الدول النامية. بمعنى أن العلاقة بين الهوية المحلية وهوية العولمة ليست علاقة وحيدة الاتجاه، وإنما أصبحت الهوية تركيب بين معطيات العالم الواقعي والعالم الافتراضي أو ما يسمى بالرقمي، الذي يشكل جزءا كبيرا من العالم الواقعي، وهو ما من شأنه أن يؤدي إلى انقسام على صعيد الهوية.

ومن المحاور السابقة يمكن القول ان الهوية الثقافية روح تنبض وتاريخ يبني وعنوان للذات. فلكل مجتمع هوية تلخص تجارب الذوات الفردية والجماعية المشكلة له في نضالها المستمر والمتواصل لشق الطريق للتقدم والرقى في بيئة تكنولوجية بصرية تحمل انساق ثقافية ذات ابعاد دلالية مختلفة .

قائمة المراجع

01-باللغة العربية

- بدران بن لحسن: العولمة ومنعطف التجديد، مجلة الإحياء، العدد 21، باتنة، جامعة الحاج لخضر، 2007.
- ابن داود عبد النور: المدخل الفلسفي للحدثة تحليلية نظام تمظهر العقل العربي قراءة في نصوص ميشال فوكو، الجزائر، دارالإختلاف، 2009،
- فارح مسرحي: الحدثة في فكر محمد أركون مقارنة أولية، الدار العربية و دارالاختلاف، الجزائر، 2007،
- محمد السويدي: مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغيير في المجتمع الجزائري المعاصر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1990
- محمد حسن برغثي: الثقافة العربية والعولمة دراسة سوسيولوجية لآراء المثقفين العرب، بيروت، المؤسسة العربية للنشر، 2007
- عباس الجراري: مكونات الهوية الثقافية المغربية، في: الهوية الثقافية للمغرب كتاب العلم ، السلسلة الجديدة، 1988 ،
- محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 2003،
- عماد علي: الحدثة وتأثيراتها على الهوية الثقافية في منطقتنا، المثقف، العدد: 1370 ، 10/04/2010.
- محمد حسين أبو العلا ،ديكتاتورية العولمة قراءة تحليلية في فكر المثقف، مكتبة مديبولي ، ط01، القاهرة، 2004.
- محمد عابد الجابري ، "العولمة والهوية الثقافية" أطروحات دار المستقبل العربي، العدد 02-228، بيروت، 1998.
- فلاح كاظم المحنة ،العولمة والجدل الدائر حولها ،مؤسسة الرواق للنشر والتوزيع ،ط01،الأردن، 2002.
- -سليمان ابراهيم العسكري ،الثقافة والانسان العربي ،اطلالة على المشهد الراهن ،مجة العربي ،العدد 509، الكويت، 2001.
- ايناس أبو يوسف وآخرون ،الاعلام والثقافة والهوية في الوطن العربي ،مركز البحوث العربية للدراسات العربية والافريقية ،دار الامين ، القاهرة ، 2003.
- حسن لطيف كاظم الزبيدي ،العولمة والمستقبل الدور الاقتصادي للدولة في العالم الثالث ،دار الكتاب الجامعي ، المغرب ، 2002.
- محمد عابد الجابري، العولمة ومسألة الهوية بين البحث العلمي والخد. طاب الاديولوجي، مجلة فكر ونقد، عدد 22

02-باللغة الفرنسية

- Jean-Noël Anderruthy, web 2.0 révolution et nouveaux services d'internet , EMI édition, France, janvier 2007,
- Peter Dahlgren, l'espace public et l'internet : structure, espace et communication, réseaux, volume 18, 2010
- Emmanuelle Border, Pascal Vaillant .Le statut du signe iconique entre iconicité et intertextualité. Paris.2006
- Martina Avanza et Gilles Laferté, dépasser la construction des identités, identification, image sociale, appartenance ;point critique 61,PARIS, 2005